لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ومن هذا القبيل قول الآخر « ظلّت المدرسة سائرةً ولكن سيرها كان يتراوح بين القهقرى تارةً و بين الخيزلى اخرى » وفي هذه العبارة عدة مآخذ احدها انهُ جعل المدرسة تسير وموضعهُ من الحزازة لا يخفى وان امكن ان يُتمحل لهُ وجهٌ بعيد . والثاني قولهُ بين القهقرى تارةً و بين الخيزلى اخرى ومقتضاهُ ان التراوح الذي ذكرهُ كان يقع في زمانين مختلفين احدهما « بين القهقرى » والآخر « بين الخيزلى » وحينئذٍ انفردت كل واحدةٍ من بين الاولى و بين الثانية بما اضيفت اليهِ . ومعلوم ان بين لا تضاف الاّ الى متعدّد لان معناها لا يُتصوّر بدون ذلك ولهذا منعوا تكرارها الاحيث تقتضي الصناعة كما اذا كان بعض ما اضيفت اليهِ ضميراً على ما هو مقرّر في مواضعهِ . والثالث انهُ اسند يتراوح الى ضمير السير وهو مفرد وهذا الفعل لا يُسنَد الا الى اثنين فما فوق تقول تراوح الرجلان العمل اذا تعاقباهُ هذا مرةً وهذا مرة وهم يتراوحون عمل كذا واما اذا كان الفاعل واحداً فيُستعمَل لهُ راوَح المجرّد من التآء تقول راوحت بين الامرين وفلانٌ يراوح بين يديهِ في العمل . والرابع قولهُ « و بين الخيزلى » وكانهُ توهم ان الخيزلى ضدّ القهقرى فجعلها في مقابلتها وانما هي مشيةٌ فيها تثاقُل وتراجُع فهي الى ان تكون موافقةً للقهقرى اقرب من ان تكون مضادَّةً لها كما ترى

وجآء في كلام غيرهِ « الواجب ان يكون لنا هذا المستشفى (مستشفى

المجاذيب . . .) من كل بدّ وسبب » اراد ان انشآء هذا المستشفى واجبٌ حتماً او واجبٌ لا محالة فعبرَّ بقولهِ « من كل بُدّ » وهو من التراكيب التي حرّفتها العامّة عن موضعها لان معنى البُدّ المحيد والمنصرَف ولا يُستعمَل الا مع النفي تقول لا بُدَّ لي من كذا وسافعل هذا الامر من غير بُدّ . وقولهُ بعد ذلك « وسبب » لا معنى لهُ وهو من متابعة العامة ايضاً وكانهم يزيدون هذه اللفظة بقصد التوكيد وكم في كلامهم من مثل هذا اللغو اذا اعوزتهم القوالب اللفظية ولا سيما في مواطن التوكيد والمبالغة فيلجأون الى ما لا معنى لهُ تذرُّعاً الى المقصود ولو بتكثير الالفاظ (١)

وربما ارسل بعضهم الكلام من غير ان يتبصر في مؤدّاهُ فيخرج بهِ الى نوعٍ من الهذيان اما من جهة المعنى التركيبي كقول القائل « وهذه هي القصيدة بنصها الفائق » وانظر كيف تكون القصيدة بغير نصها وهي مقيدة بالوزن والقافية

وإما من جهة معنى اللفظة في نفسها كقول الآخر « ما اجابتهُ اذنٌ سامعة » وهي اول مرةٍ سمعنا فيها ان الجواب يكون من الاذن

(١) وحسبك في ذلك لفظة « البتاع » في لغة عوامّ المصريين فانها تأتي بكل معنى وترادف كل لفظ حتى لو فُسّرت في جميع مواقعها لاستُخرج من تفسيرها معجم حاوٍ لجميع الفاظ اللغة . وأحرِ بها ان تكون كذلك لأنها تجمع كل مقاطع الحروف فالبآء من الشفتين والتآء من اللسان والعين من الحلق و بقيت في الالف فائدة اخرى وهي فتح الفم عند النطق بها دلالةً على استغراقها جميع انواع اللفظ .

ويتصل بهذا قول الآخر «هبّت عليهِ ريحٌ سموم أماتتهُ ببردها» فظن ان السموم الريح الباردة وانما هي الريح الحارّة وأما الباردة فتسمى الصرصر

وقول الآخر « الارض منبعجة من قطبيها » يريد انها مفاطحة من ناحيتي القطبين وانما يقال انبعج الشيء اذا انشقّ واكثر ما يُستعمَل البعج في البطن تقول بعج بطنهُ بالسكين اذا طعنهُ بهِ. والعامة تستعمل البعج بمعنى الغمز في الشيء الرخو يقولون بعج العجين ونحوهُ اذا غمزهُ باصبعهِ فغاصت فيهِ وكلا المعنيين بعيدٌ عن المقام

ويلحق بذلك قول الآخر « وطّد العلائق بينهما » والعلائق لا توطَّد لان التوطيد يكون للارض ونحوها يقال وطد الارض اذا ردمها وداسها لتصلُب ومنهُ الميطَدة وهي خشبةٌ يوطَّد بها اساس البنآء وغيرهُ . والوجه وثّق العلائق او اكّدها ونحو ذلك

وانكر منهُ قول الآخر «جبالٌ شاهقة تنطح رؤوسها اعناق السمآء » فاستعار للسمآء اعناقاً وانظر ما اراد بها

وجآء في كلام آخر « انكسار الاوعية الشريانية » يعني انفجارها ولا يقال انكسر الشريان لان الكسر خاصٌ بالشيء اليابس

وفي كلام غيرهِ «هذه المباني عبارةٌ عن هياكل» فجعل المباني عبارة ... ومثلهُ قول الآخر يذكر امرأةً « كانت عبارةً عن خادمة » ...

وفي كلام آخر « ولكنها المطامع تؤدّي بالمرّة للمذلة والهلاك » يريد تؤدّي تارةً او في بعض المرّات الى المذلة فعبّر بقولهِ «بالمرّة» وانما هو من التعريب الحرفي عن الفرنسوية

ومن هذا القبيل قول الآخر «تدفقت الدمآء من جسميهما حتى غطّت سطح السطح . وهو من التعريب الحرفي ايضاً لكن اللفظين الافرنجيين مختلفان وكأن اصلهما (la surface du toit) فلم يتعرَّبا لهُ الا بسطح السطح ولم تطاوعهُ نفسهُ على اسقاط احدهما . . . . .

ومثلهُ قول الآخر «لا يوجد احد يقدر كيف يفسر اسباب هذا التسليم» وما نظن الا ان اللفظ الاصلي « يعلم كيف يفسر » فوضع مكان يعلم «يقدر» لان فعل العلم عندهم يُستعمَل في بعض تصاريفهِ بمعنى الامكان والقدرة فذهب وهمهُ الى هذا وترجم العبارة بالحرف . وكان ينبغي على الاقلّ اذا عدل الى هذا المعنى ان يبدل لفظ « كيف » بأن المصدرية لانهُ يقال فلان يقدر ان يفعل ولا يقال يقدر كيف يفعل　　　(ستأتي البقية)

الدماغ والعقل

(تابع لما قبل)

واما القُوَى الادبية فأُولاها احترام الذات ومحلها ورآء قمّة الرأس بالقرب من زاوية ملتقى الفودَين . وهذه القوة اذا كانت متعدلةً نشأ عنها ثقة الشخص بقواهُ الذاتية وشعورهُ بمنزلتهِ في نفسهِ وحبهُ للاستقلال واذا افرطت نشأ عنها الاعتداد بالنفس الى ما ورآء الطور والاستخفاف بالغير والكِبْر والتعجرف والخروج عن الحدّ في الأَثَرَة وحب التسلط .

والثانية حبّ الامتداح ومحلها على جانبي احترام الذات واسفل منهُ قليلاً . وهذه القوّة اذا كانت في ذي طبعٍ معتدل مال الى اكتساب حسن

الاحدوثة والرفعة في العيون وتوفر الحرمة وبُعد الذِكر واذا بلغت غايتها نشأ عنها التمدُّح والطمع وحبّ التعظيم . والثالثة الحزم والاخذ بالوثيقة ومحلها تحدُّب الفَودَين ومن شأنها ان يتجنب صاحبها مواقع الخطر ويكثر من اليقظة والتحرز واذا افرطت كان كثير الارتياب والتردد هَيُوباً جباناً مخلوع القلب . والرابعة حب الخير ومحلها مقدَّم الرأس فوق نتوء العظم الجبهيّ ومن خصائصها الرأفة وصنع الجميل واللطف والايناس وخفض الجناح . والخامسة التهيُّب ومحلها قمة الرأس ومن خصائصها التكريم والخضوع لذوي المنزلة السامية واحترام ذوي الاقدار الجليلة وهي منشأ التدين والورع . واذا تناهت كان عنها التذلل والاستكانة والاستسلام للرقّ والتهوُّس الديني وما يتصل بذلك . والسادسة الثبات ومحلها القسم المؤخر من اعلى الفودين وهي اذا افرطت كان عنها العناد والتصلب . والسابعة حب النَصَفَة ومحلها من الدماغ فُسحة صغيرة فوق الحزم وتحت الثبات ووراء الامل وعنها يتأتى الميل الى العدل واحترام حقوق الغير وحب الصدق والاخلاص . والثامنة الامل وهي منشأ الصبر واحتمال المكاره ومن خصائصها الاتكال على المستقبل واليها مرجع الايمان . واذا افرطت كان عنها سرعة التصديق وتصوُّر المفروضات الباطلة التي لا اساس لها ومحلها وراء محل الاعجاب . والتاسعة الاعجاب او التعجب ومن خصائصها حب الجديد والاعجاب بالامور المستحدثة والشؤون الخطيرة واذا افرطت ادت الى الولوع بالخوارق والمعميات والاعمال السرية والتصديق بالسحر والكرامات وكل ما هو فوق الطبيعة ومحلها في جانبي الزاوية الجبهية فوق

قوة حب التفنن وتحت قوة التهيب . والعاشرة حب التفنن ومن خصائصها الميل الى الاشيآء الجميلة وبدائع المصنوعات والتصورات الشعرية ولكنها كثيراً ما تسوق الى المبالغة والاغراق في الامور وتميل بصاحبها الى استحسان الاشيآء المزوّقة والصدّ عما لا زينة فيهِ ومحلها تحت التي سبقتها مع ميلٍ الى الخارج . والحادية عشرة فكاهة الطبع ومن خصائصها المزاح والمهازلة والتهكم والهزؤ وما لا معنى لهُ من الامور ومحلها جانبا الجبهة بين قوة الاعجاب وقوة حب التفنن . والثانية عشرة حب الاقتدآء ومن خصائصها الميل الى التقليد في كل الامور ويتبع ذلك الاكثار من الاشارة ومقارنة معاني اللفظ بما يدل عليها من ضروب الايمآء . وهذه القوة تبلغ معظمها عند كبار الممثلين والمصورين وبها يقلد الانسان الاصوات والحركات والهيئات ومحلها على جانبي قوة حب الخير بالقرب من محل الاعجاب

واما القُوَى العقلية فأُولاها التشخيص اي تمييز الاشيآء بأشخاصها ومن خصائص هذه القوة الاستعداد لدرس الاشيآء بتفاصيلها وهي تقوى في المطبوعين على المراقبة والبحث ولا سيما المشتغلين بتقويم الفصول المنوّعة كأصحاب علم الحيوان وما جرى مجراهُ ومحلها وسط القسم الاسفل من الجبهة ويُستدَلّ على تكاملها باتساع الفُرجة بين الحاجبين . والثانية قوة التصور ومن خصائصها الاقتدار على تمثُّل صُوَر الاشيآء بحدودها وبها تُتذكر صُوَر الاشخاص ويُستحضر ما بينها من المشابهات ومحلها تحت محل تلك بحيث انهُ كلما انفرجت المسافة بين العينين كانت هذه القوة اتمّ وهي تقوى في المصوّرين . والثالثة قوة ادراك الامتداد ومحلها

باطن تقويس الحجاج اي العظم الذي عليهِ الحاجب وهي تعين على تقدير المسافات ومساحة السطوح وقياس الاشباح . والرابعة قوة تقدير الثقل ومن خصائصها معرفة اوزان الاشيآء وتقدير القوّة والمقاومة في الاجسام ومحلها ورآء الحجاج ايضاً بين قوة ادراك الامتداد وقوة تمييز الالوان. وهي تقوى في الرقاصين واللاعبين على الحبال والبحّارة واصحاب علم الحِيَل (الميكانيك) واذا فُقدت أو ضعفت كان الشخص معرَّضاً للهُدام اي الدُوار البحري . والخامسة قوة تمييز الالوان وبها تُدرَك حقائق الالوان وما بينها من النِسَب ومحلها وسط تقويس الحجاج وما يجاورهُ من اسفل الجبهة . والسادسة قوة معرفة الأَحياز (جمع حيّز) ومنزلتها من الامكنة منزلة قوة التصور من الاشباح ومحلها الفسحة الصغيرة من الجبهة التي تعلو باطن حرف الحجاج . والسابعة قوة معرفة الاعداد ومحلها مقدَّم الدماغ مما يلي باطن الحجاج وبها يُقتدَر على ضبط الاعداد وصحة الاعمال الحسابية والتبحر في العلوم الرياضية . والثامنة قوة الترتيب ومن خصائصها الانطباع على تنظيم الاشيآء ووضعها في مراتبها ومحلها ورآء التي سبقتها وعلى الخط نفسهِ . والتاسعة قوة حفظ الحوادث ومحلها وسط الجبهة وهي تقوى في الاطبآء واصحاب علم وظائف الاعضآء والسياسيين والمؤرخين . والعاشرة قوة معرفة الزمن ومن خصائصها حفظ المواقيت وتواريخ الحوادث وبها يُقتدَر على ضبط الزمن في النغم ومحلها فوق وسط الحاجب . والحادية عشرة قوة معرفة الاصوات وبها يُقتدَر على تمييز درجات الاصوات الموسيقية ومراعاة ما بينها من النِسَب ومحلها الزاوية الجبهية فوق طرف

الحاجب . والثانية عشرة قوة النطق ومحلها عند قاعدة النتوء المقدَّم من الدماغ وهي اذا بلغت معظم نموّها كانت العين كبيرةً بارزة . والثالثة عشرة قوة المقابلة ومحلها فوق محل قوة التشخيص من العظم الجبهي وهي تكون نامية في الطبيعيين والشعرآء والخطبآء . والرابعة عشرة قوة التعليل وبها تُدرَك النسبة بين علل الاشيآء ومعلولاتها ومحلها امام التي سبقتها من جهة ظاهر الجبهة . وهاتان القوتان اذا استوفتا نموهما نبغ صاحبهما في اي فرع توخاهُ من فروع العقليات　　(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٤ —

قولي بربّكِ ايتها المرأة الغربية التي غرّتها من مظاهر حياة بعض الرجال زخارف علقت نفسها بها فأغرتها بطلب المحال

اين انتِ الآن واين تكونين بعد ان تصبحي قائداً يقارع الابطال في ميادين النضال او حاكماً يقضي على هذا بالقتل وعلى ذاك بالسجن والنكال او تاجراً يماري زيداً ويغبن عمراً ويهاتر خالداً ويساوم بكراً ترويجاً للسلع وحشداً للاموال

اما ترين بربكِ في كل ذلك ما يقضي على الجلال الانثويّ بالابتذال أوَلا تجدين نفسكِ بعد ذا عدوّةً مناصبةً للرجال بعد اذ كنتِ المالكة قلوبهم القابضة على ازمتهم المستولية على عواطفهم واميالهم بما اوتيتِ من

آيات اللطف والرقة وجواذب الخفَر والدلال

أوَيتيسر لكِ بعد ذا ان تلبثي كما كنتِ معبودةً لتصوراتهم وهيكلاً لاميالهم وفردوساً تجول فيهِ سوانح مخيلاتهم وتحوم حولهُ بدائع اغزالهم وقد صرتِ لجنسهم في عداد الاعدآء سفّاكةً للدمآء خرّاجةً ولاّجةً بين الشوارع والاحيآء متجوّلةً بين الدساكر والحانات ودُور المكس والخانات للبيع والشرآء والاخذ والعطآء

وهبي انهُ يتهيأ لكِ مع هذه الحال ان تحبلي وتلدي وتُرضعي وتربي ثم افترضي ان سيادتكِ تدوم على افئدة الرجال وان ابتذالك بالتعامل والتشاغل والتضاغن والتشاحن لا يسلب منكِ جواذب لطفكِ الفعّال وسحركِ الحلال . وان المناضلة والمصاولة والتعرُّض للفح الحرّ ونفح القُرّ واقتحام الاهوال والمخاطر التي يخوض غمارها الرجال لا تزحزح عن تكوينكِ البديع رونق الملاحة ومسحة الجمال

اخبريني بعد افتراض كل هذه المحاليَّات ماذا تربحين وفيمَ تؤملين وما هو الذي تجنين

أيفوتكِ ان المجد الذي ينفق الرجال في سبيل احرازهِ الاعمار مقتحمين جلائل الاخطار آنآء الليل واطراف النهار مفكّرين مدبّرين ساهرين مجدّين كادحين تَعِبين لا ينالون منهُ في الغالب قليلاً من كثير الا بعد شقّ الانفس وإعنات الارواح وانتزاف دمآء القلوب . هذا اذا لم تخبُ آمالهم او تختَرَم آجالهم او يعطلوا في الحروب بعض اعضآئهم او يفقدوا نور ابصارهم . على ان هذا المجد غير منحصرٍ فيهم ولا

مختصٍ بأشخاصهم بل تشاركهم في منافعهِ وسؤددهِ النسآء ابداً فيقاسمنهُ رجالهنَّ ويتلذذنَ بحلاوتهِ هنيئاً مريئاً بلا عنآء ولا نَصَب

افتنكرينَ ان زوجة الملك تكون ملكةً وان كانت من بنات الطريق (١) وان المرأة شريكة الرجل في المنزلة والمال على حالتي السرَّآء والضرَّآء والحرمان والتوفيق . فما لها إذنْ وللدخول فيما يعنّيها ولا يعنيها ويُشقيها ولا يُغنيها . وايُّ خيرٍ ترجو من ولوج هذه المضايق والتهافت على ما دونهُ خرط القتاد وافتراش الرمضآء معرّضةً جسمها الرخص الغَضّ وبنانها الترف البَضّ لانواع البلايا والشقآء طمعاً في مجدٍ أو مالٍ هي حائزة عليهِ بغير مزاحمةٍ ولا نضال

(١) ان كاترينا زوجة بطرس الاكبر قيصر امة الروس ومؤسس مدنيتها العظيم كانت ابنة احد الفقرآء من قرية رنجان ولما بلغت الثامنة عشرة من عمرها تزوجت بجنديٍّ اسوجيٍّ قتل غداة عرسها في الحرب الثائرة بين كارلوس ملك اسوج و بين الروسيين ثم اسرها قائدٌ روسيٌّ فاستخدمها كالوصيفة الى ان تحولت الى خدمة كزمتوف قائد الجيش الاكبر اذ ذاك ثم اعطاها هذا لمنشيكوف احد امرآء الروس فرآها عندهُ بطرس الاكبر فاحبها وتزوّج بها فاصبحت امبراطورة الروسيين عامةً وكانت سبباً لنجاة مملكتهم من يد العثمانيين فانها بلطفها وحذقها انقذت زوجها القيصر من الاسر واقنعت القائد العثماني (وهو محمد باشا البلطجي الصدر الاعظم) ان يبرم الصلح بعد انتصارهِ التام واقتدارهِ على اكتساح البلاد الروسية والاستيلاء على عاصمتها فعقد صلحاً بشروطٍ سهلة وعاد الى القسطنطينية بالجيش فقتلهُ السلطان لما ابداهُ من التسامح والتساهل مع الروسيين بداعي افتتانهِ بجمال كاترينا وانخداعهِ بأساليبها السحرية

أفما تسلّين معي إذن ايتها الغانية اللعُوب العابثة بالقلوب بأن الغرور هو الذي جعلكِ تطلبين محالاً وتسعين ورآء اوهامٍ واباطيل تعيد صحتكِ سقماً وثروتكِ إقلالاً فيلمّ بكِ النقص من حيث تطلبين الزيادة وينالكِ الشقآء من حيث تبتغين السعادة

فما أخدعِ ما زينت لكِ الأماني وما اضل ما زخرفت لكِ المطامع . ومن الغريب ان لكِ حقوقاً مسلوبة تكفل لكِ السعادة المنشودة لو سعيتِ ورآء استردادها لكنتِ عادلةً في الطلب فغادرتِها جزُافاً وأُولعتِ بما ليس لكِ تحاولين نيلهُ تهوُّراً واعتسافاً فكنتِ كصاحب قطيعٍ من الاغنام أبصر في بعض السفوح وعلاً يقفز ويثب فتوهمهُ عن بعدٍ كبشاً ضالاً عن قطيعهِ فاخذ يعدو ورآءهُ مكابداً عرق القربة حتى اذا لحق بهِ بعد تمادي العنآء عرف انهُ وعلٌ يستحيل عليهِ امساكهُ فعاد أدراجهُ آسفاً على ما لقي من التعب. ولما انتهى الى حيث كان رأى أغنامهُ مشرّدة وادواتهِ مبدّدة. هذه نتيجة عدم التروي في مصاير الامور قبل مباشرتها وعدم اعطآء الاشيآء حقها من التبصُّر حال مزاولتها (ستأتي البقية)

خبايا الزوايا

وردتنا عدة اسئلة من بعض مشتركينا الادبآء عن اشيآء من مأثور الشعر والنثر اشتهر ذكرها بين الخواص ولكنهـا غير متداولة بين القرآء لندرة نسخها وعزّة الوصول اليها منها مقالة الملك النعمان لكسرى المشار اليها في خطبة مجمعة الرائد ومنها الرسالتان السينية والشينية للحريري صاحب المقامات ولهاتين الرسالتين ذكرٌ في بعض كتب الادب ومنها القصيدة الطنطرانية التي عارضها المرحوم والد صاحب

هذه المجلة بالقصيدة التي رواها له حضرة الكاتب الاديب امين افندي الحداد في ترجمته في صدر النبذة الاولى من ديوانه فرأينا ان نثبت هذه المذكورات كلها الواحدة بعد الاخرى مع تحرّي ما استطعنا من الصحة في روايتها وتفسير ما في بعضها من الغريب حيث تدعو اليه الحاجة تتمةً للفائدة و بالله التوفيق

فاما مقالة الملك النعمان لكسرى فقد ذكرنا ملخص ما كان من امرها هناك وهي مطبوعة في الجزء الاول من كتاب العقد الفريد في باب الوفود (صفحة ١٢٤ وما بعدها من النسخة المطبوعة في مصر) ولكنا عثرنا لها على نسخةٍ اخرى في احدى المجموعات القديمة منقولة عن كتاب تحفة الاخلاء فرأينا ان نعدل اليها هنا حتى ان من وقف على صورتها هناك لا يعدم فائدة الجمع بين النسختين · وهذا نصّ النسخة المشار اليها

وفد النعمان على كسرى[1] وقد حمل اليهِ هدايا مما يكون في بلاد العرب مثل الدرّ وأواني الجَزْع وحُلَل اليمن والوَرْس الاحمر والسيوف اليمانية والخيل والابل العربية . فدخل عليهِ وعندهُ وفود ملك الصين ووفود ملك الهند ورسل ملك الاتراك واخو قيصر ملك الروم وافاضوا في الحديث فذكروا بلادهم وافتخروا بقومهم وقوة ملوكهم وطيب ارضهم وكثرة خيراتها . وتكلم النعمان فافتخر على جماعتهم بالعرب من غيرتها وكرمها وشرفها و بحبوحة ذكرها وحسن وجوهها ورصانة عقولها وفصاحة منطقها وحكمتها في اشعارها ولم يستثنِ بكسرى ولا باهل مملكتهِ . فاخذت كسرى الغيرة فقال يا ابن المُنذِر اني قد نظرت في جميع الامم و بلادها فرأيت الروم لها حظٌّ في اجتماعها وكثرة مدائنها وحسن بنآئها ولها مع ذلك دينٌ يحلل حلالها ويحرّم حرامها وملكٌ يجمع امورها ويحميها من

[1] المراد به كسرى بن هرمز بن كسرى انوشروان وكان ملكه سنة ٥٩٠ للميلاد

عدوّها ويأخذ لضعيفها من قويّها . واهل الهند لها حظٌّ في حكمتها وعزائمها وطيب بلادها وكثرة عطرها ولها دينٌ يفصل بين حلالها وحرامها وملكٌ يجمع بين اقاصيها وادانيها ويلي الحكم بينها ويمنعها من عدوّها . والصين لهـا حظٌّ في صنائع ايديها وهمتها في آلة الحرب وجودة صناعة الحديد والاواني ولها دينٌ يحلل ويحرّم وملكٌ يحكم ويجمع ويمنع . والخَزَر والاتراك لهما شدة ونجدة وبأس ومَلِكان يحميان ارضهما ويقوّمان أَوَدهما متوارثَين المُلك خلَفًا عن سَلَف ولست ارى للعرب من ذلك شيئاً . وان مما يدل على تقاصر همتهم رضاهم ببلادهم التي هم بها من تلك القفار والبراري مع الوحوش النافرة والسباع الضارية يقتلون اولادهم من الحاجة ويغزون بعضهم بعضاً من الفاقة . وقد خرجوا من لذّات الدنيا طعاماً وشراباً افضلُ طعامهم لحوم الابل التي يعافها كثيرٌ من الطير والوحش وان احدهم ليقري الضيف يوماً واحداً في دهرهِ ويشبع الشَّبْعَة الواحدة في عمرهِ فيجدها غُنْماً فصال بذلك شعرآؤهم وافتخر مفتخروهم خلا ارض اليمن فان جدّي كسرى انوشروان سنَّ لها اجتماع ألفتها ونصب لها مملكتها فجرى بها ذلك الى الآن وان لها شيئاً من الاثاث واللباس والحصون والقُرَى واموراً تشبه بعض امور الناس . فقال النعمان ايها الملك ان عندي جواباً لكل ما تفوهت بهِ من غير تكذيبٍ ولا ردّ فان أمّنتني غضبك تكلمت . فقال كسرى قل ما بدا لك غير مَلُوم . قال النعمان اما أُمّتك ومملكتك فلا تنازع في فضلها وما هي عليهِ من احلامها وسطوتها وما كنفها الله بهِ من ولايتك وولاية آبآئك عليها من قبل . واما سائر الامم فاية امةٍ منها تقرنها بالعرب الا

وكان الفضل للعرب . قال كسرى ولمَ ذا . قال لعزّ العرب ومنعتها وحسن وجوهها وصفآء الوانها وشدة بأسها ونجدتها وجُرأة قلوبها وغِلَظ اكبادها وأَنَفتها من الهوان وصحة انسابها وفرط كرمها وفصاحة كلامها وكثرة حكمتها في اشعارها وجودة عقولها وتمسكها بما هي عليهِ من دينها . فأمّا عزّتها ومنعتها فانها مجاورة لآبآئك الذين دوّخوا الأَرَضين واحتووا عليها وذلّت لهم الملوك فلم يطمع فيهم طامع ولم يعلق بهم متطاول ولا متناول . حصونهم صهوات خيلهم وسقوف بيوتهم السمآء وسواهم حصونهم القلاع وجزائر البحار وسقوفهم الخشب . واما حسن وجوههم فقد عرَفت فضلهم على الهنادك[1] المحترقة الوجوه والروم المشوّهة الوجوه والاتراك والصين العريضة الوجوه والحبش السود الوجوه . واما معرفتهم بانسابهم فانهُ ليس في الامم امةٌ الا وقد جهلت آبآءها واصولها وكثيراً من اوائلها فالرجل منهم ربما سُئل عن ابيهِ الذي خرج من صلبهِ فلم يعرفهُ وليس في العرب احدٌ الا ويسمي آبآء آبآئهِ حتى ينتهي الى آدم. فقد عرفوا انسابهم وضبطوا اصولهم فلا يستطيع احدٌ منهم ان يدخل في غير قومهِ ولا يكون احد فيهم مجهول النسب . واما دينهم فانهم متمسكون بهِ محافظون عليهِ وقد بلغ من ذلك ان لهم أَشهرًا حُرُماً وبيتاً حراماً يَنحرون فيهِ ذبائحهم وينسكون مناسكهم ويسوقون اليهِ انعامهم ويهرعون بأَجمعهم الى حجّهِ فيلقى الرجل منهم قاتل ابيهِ او اخيهِ في ذلك البيت وفي ذلك الشهر وتحمل بهِ الدمآء على اخذ ثأرهِ فيحجزهُ تمسكهُ بدينهِ فلا يتعرض لهُ بمسآءة . واما وفآؤهم

---

١ هم اهل الهند واحدهم هندكيٌّ وهي من شواذ النسب ويقال ايضاً هنديٌّ والجمع هنود

فان الرجل منهم يبلغهُ ان الرجل استجار بهِ او لجأ اليهِ فيمنعهُ من كل من ارادهُ ولا يُخفر ذمّتهُ ولا يسلّمهُ ابداً ولو قُتِل دون ذلك وهلكت عشيرتهُ وفآءً منهُ وحفظاً لعهده. ويلجأ الي الرجل منهم المخذولُ المطلوب من غير ان يكون ذا قرابة وذا رَحِمٍ فيبذل دونهُ مالهُ ونفسهُ. وان الرجل ليلحظ اللحظة ويومئ الايمآءة فيجعل الملحوظُ نحوهُ والمُومأُ اليهِ ذلك عهداً وثيقاً لا يحلّهُ الا خروج نفسهِ. واما ألسنتهم فان الله عز وجل قد اعطاها من ايجاز المنطق وعذوبتهِ مالم يُعطِهِ احداً من الناس مع ضربهم الامثال ونظمهم الشعر شيخاً وصبياً ونطقهم بالحكمة. واما خيولهم فافضل الخيول الخيل العتاق. واما لباسهم فافضل اللباس حُلَل اليمن. ونسآؤهم اعفّ النسآء ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجَزَع[١] وعشب ارضهم الوَرْس[٢] ومطاياهم الابل التي لا تُقطَع الاسفار البعيدة الا عليها ولا تُسلك القفار والفيافي الا بها. واما كرمهم فان الرجل يكون لهُ البعير او الناقة التي منها زادهُ ونفقتهُ وهي مركبهُ ومحملهُ فيطرقهُ الضيف الذي يجتزئ بالأَكلة[٣] ويكتفي بالبُلغة[٤] فينحرها لهُ. واما ما ذكرت من ان ليس لهم ملكٌ يجمع اقاصيهم ويمنع عنهم كسائر الامم فسائر الامم انما ملّكوا عليهم ملوكاً لانهم اقرّوا من انفسهم بالضعف وخافوا عادية اعدآئهم فملّكوا عليهم ملوكاً تدفع اعدآءهم عنهم وتأخذ لضعيفهم من قويّهم. واما

١ هو ضرب من الحجارة يكون باليمن فيه سواد وبياض ٢ هو نبت اصفر يكون باليمن يصبغ به قال الاصمعي نباته كنبات السمسم فاذا جف عند ادراكه تفتقت سنفته اي وعآء ثمرته فينتفض منه الورس ويخرج صبغه اصفر فاذا كان حديث العهد بالزرع كان في لونهِ حمرة وهو اجوده . اه تحصيلاً ٣ يجتزئ اي يكتفي والاكلة بالفتح الوجبة الواحدة من الطعام
٤ مقدار ما يمسك الرمق من الطعام

العرب فقد كادوا يولدون كلهم ملوكاً لغِلَظ اكبادهم وأنفتهم من الاقرار بالقهر وأداء الخراج ولكل قبيلةٍ رئيسٌ منها يحمي مَن يليهِ

واما ما ذكر الملك من قتل اولادهم من الحاجة فانما يفعل ذلك من يفعلهُ منهم بالإناث دون الذكور أنفةً من العار وغيرةً من الازواج لا من الحاجة والضرّ[١]. واما ما ذكرت من اكل الابل فوهمتَ انها زَهِمة[٢] اللحوم غليظة الشحوم خبيثة المذاق فليست كذلك بل هي اكثر النَعَم[٣] شحماً واطيبها لحماً واحلاها مُضغةً واقلها غائلةً وانما ترك العرب ما سوى الابل لِما احتقروا منها فعمدوا الى اعظم الأنعام واقواها فجعلوها ركابهم وطعامهم. واما ما ذكر الملك من ارض اليمن وما كان من كسرى انوشروان في مملكتها فانهُ انما بعث اليها بالجيش عند غلبة الاحباش عليها فورد على امرٍ مستوسق[٤] وجندٍ مجنَّد ولولا ما كان من تحاسُدهم على سلطانهم وتنافُسهم في ملكهم ووقوع المعصية بينهم حتى حملهم ذلك على التحاسد وحداهم على التخاذل لما قدرت الاحباش على اقتناصهم سلطانَهم وابتزازهم اياهُ ولكان فيهم من يجيد الطعان ويأنف من الضيم يستغنون بهِ عن استنصار غيرهم. اه

قال فلما سمع كسرى ما اجابهُ بهِ النعمان عجب من رصانة عقلهِ وإدلائهِ بالصواب في قولهِ وما احتجّ بهِ عن قومهِ وأُعجب بجُرأتهِ وإقدامهِ وجودة حوارهِ فقال يا ابن المنذر انك اهلٌ لما انت فيهِ من السيادة على قومك ولقد اصبت في كلامك وصدقت في حجتك ثم كساهُ خِلَعاً كثيرة من

---

١ الفقر　٢ اي زنخة　٣ النعم هنا بمعنى المواشي　٤ اي على ملك مجتمع

لباسهِ واكرمهُ وردّهُ الى مملكتهِ وقد زاد بما سمع منهُ نُبلاً عندهُ وحُظوةً لديهِ . انتهى

الريح والشجر

معلوم ما للريح من القوة حتى انها تنتسف الابنية الضخمة وتُطير سقوف المنازل وتقتلع الشجر العاديّ بل ربما كان فعلها بما يعترضها من الاشباح الكبيرة اعظم جدًا من فعلها بما تمرّ عليهِ من الاشباح الضئيلة كالعشب والزرع فانها لا تزيد مهما اشتدّت قوتها على ان تفيّئهُ وتحني رؤوسهُ امام ممرّها فاذا جازت لم تترك فيهِ اثراً يُذكَر. الا ان هناك فعلاً آخر للريح اذا استمرّت على مهبٍّ واحد فانها تحني الشجر وتميلهُ شيئاً فشيئاً وبتكرُّر ذلك على الايام يثبت على انحنآئهِ . واكثرما يعايَن ذلك على شواطئ البحار لما أن الرياح هناك تكون دائمة الهبوب الى اتجاهٍ واحد اي من جهة البحر الى البرّ ولذلك ترى الرمال التي تقذفها الامواج على الشاطئ تحملها الريح فتجعلها أحقافاً وكثباناً ثم تبددها من هناك في كل وجه حتى يتألف منها صحارى رملية تعمّ بقاعاً واسعة من الارض . ثم ان الريح فضلاً عن حملها تلك الرمالَ ونقلها من موضع الى موضع فان ما تحملهُ منها يؤثر بقوة هبوبها على ما تمرّ بهِ وهو السبب فيما يرى في بعض الصخور من الاضراس والنتوءات لانهُ باستمرار وقوع الرمل عليها بتلك القوة تتآكل في المواضع الهشّة ويبقى ما صَلُبَ منها بارزاً . وكذلك ما يُرى في زجاج المنازل المجاورة للرمال اذا كان زجاجها مواجهاً للريح فانهُ يتخشن حتى

كانهُ أُخذ بالسنباذج ومن هنا تنبه بعضهم لطريقة نقش الزجاج وثقبهِ احياناً بتسليط مجرًى شديد من الرمل عليهِ على ما ذكرنا تفصيلهُ في غير هذا الموضع

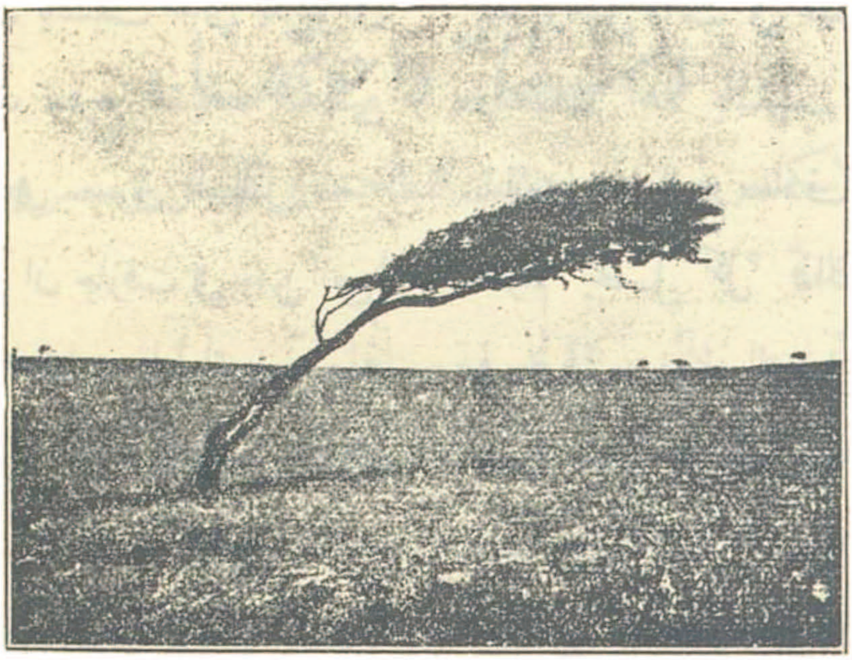
وترى امامك رسمين في الاول منهما صورة صنفٍ من الاشجار وهي غابةٌ من السنديان في سهلٍ مجاور للبحر بناحية غرانفيل من ايالة المانش والارض هناك معرَّضة لهبوب ريحٍ دائمة تأتيها من الشمال الغربي وقد



ظهر فيها فعل الريح على تمام الوضوح فان الشجرات الواقعة في اول الصف تستقبل الريح مباشرة لا يحجبها من دونها حاجب فهي تستمكن منها بكل قوَّتها ولذلك تراها اشدَّ ميلاً من اخواتها والميل يبتدئ من اصولها فصاعداً ويزداد كلما ارتفعت وترى اعاليها قد انحنت متتابعةً على خطٍ مستوٍ لانجرار ذيل الريح على اغصانها الرخصة واستمرارها على ذلك . ثم ان هذا الميل يقلّ شيئاً فشيئاً في الشجرات التالية لاستذرائها بالتي وراءها الى ان تراها اخيراً قد استقامت نبتتها ما خلا بعض رؤوسها المعرَّضة للريح فانك

تراها كانها قد شُذّبت اعاليها فلم يُترَك غصنٌ منها ناتئاً عما يجاوره

واغرب من ذلك ما يُرى في الرسم الثاني وهو صورة شجرةٍ من العِضاه في سهلٍ من الارض لا يحجبها حاجبٌ من الورآء ولا تستند على شيء



من الامام ولذلك تسلطت الريح عليها بكل شدتها وهي قائمة على منحدَر مستطيل ينتهي الى البحر . على انهُ يظهر في قرب اصلها ما يدلّ على ان هناك كسراً خفيفاً وهو ولا ريب من فعل الريح ايضاً وبذلك صارت الى هذا الشكل الغريب

الشيب الصناعي

من نظم حضرة الشاعر المتفنن الياس افندي الغضبان

ما بال شعركِ بالبياض تخضبا　　فبدا على عهد الشبيبة أَشيَبا

ام ذاك لونٌ قد غدا في عصرنا　　في عُرف ربات التجمل اصوبا

يا دُميةً ان اسبلت فرعاً لها ... سَدَلت على افق البرية غيهبا
واذا انثنت ارخى الظلام سجوفهُ ... والبدر كُوّر في الفضآء مغرّبا
كيف استعضتِ عن السواد بابيضٍ ... وكسوتِ هذا الفرع ثوباً اشهبا
ورضيتِ بالشيب الذي يدعو الى ... يوم الرحيل وانتِ في غضّ الصبا
واخترتِ توديع الشباب بلا اسى ... ودعوتِ اهلاً بالمشيب ومرحبا
والعمرَ في سوق التجمل بعتِهِ ... يا ليت هذا البيع صادف مكسبا
لا بِدعَ ان جازفتِ في زمن الصبا ... فالوهم يجعل كلَّ ذا مستعذبا
الله اكبر فالحياة رخيصةٌ ... في عُرف من تخِذَ التجمل مذهبا
كم غصنَ قامتكِ النحيفَ هصرتِهِ ... ضمن المِشَدّ فبات فيهِ معذَّبا
وأديمَ طلعتكِ الرقيقَ طليتِهِ ... فغدا بألوان السموم مخضَّبا
ولكم حسرتِ عن الترائب حيث لا ... تخشَين من بردٍ يهز المنكبا
قلّدتِ بنت الصين في لبس الحِذا ... أرأَيتِ هذا للتجمُّل أقربا
موّهتِ في دعوى المشيب فقام ذا الـ ... وجهُ النضيرُ لما ادّعيتِ مكذّبا
وافى لقاضي العدل يرفع امرهُ ... متظلماً ولحقهِ متطلبا
اذ قد سدلتِ الشيب فوق ملامحٍ ... حاكت غضاضتها رياحين الرُبى
فرعٌ كفرع الخيزبون مضفرٌ ... في رأس غانيةٍ لها قدُّ الظبا
فبدا محياكِ المنير ككوكبٍ ... يَغشَى بياض الصبح ذاك الكوكبا
والشيب عنوان الكمال وانني ... لم أُلفِ شيبكِ عن كمالكِ مُعرِبا
قالت تمهَّل يا فتى واُعذر ولا ... تكُ في الذي منا ترى متعجبا
للخُود زيٌّ ليس يثبت فهو كالـ ... حربآء يُبصَر دائماً متقلبا

يحتلنَ فيما يجذب الابصار اذ يَوْدَدْنَ لو اصبحنَ مثل الكهربا
ولقد يحدّبنَ الظهورَ تجملاً ان كان للابصار ذلك اجلبا
فاذا تكلفنَ المشيب تصنعاً لم يبتغينَ سوى الخديعة مطلبا

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية ـ متى أُطلقت لفظة خديو على عزيز مصر وما معنى هذه الكلمة اسعد الارقش

الجواب ـ الخديو كلمة فارسية معناها سيّد او امير واصلها خدِيو بفتح الخآء وكسر الدال فتحرفت على ألسنة العامة الى لفظ المصغر واكثرهم يزيد في آخرها يآء استيحاشاً من وجود الواو متطرفة بعد يآء ساكنة

وأما اطلاقها على عزيز مصر فأول من سُمّي بها المرحوم اسماعيل باشا سنة ١٨٦٧ اطلقها عليهِ السلطان عبد العزيز ثم صارت لقباً لكل من يتولى اريكة مصر من بعدهِ

حلب ـ اختلفنا في تصغير حيوان فقال قائل يصغَّر على حُيَيوِين ذهاباً الى انهُ اسم جامد وقال آخر يصغَّر على حُيَيوان ذهاباً الى انهُ وصف مختوم بالف ونون زائدتين بمنزلة صَميان للشجاع وان من شرط ما يصغَّر على فُعَيلين ان يجمع على فعالين والحيوان لا يجمع على حياوين فما هو الحقّ في ذلك احد المشتركين

الجواب ـ الحق ان الحيوان اسم جامد لا وصف وهو في الاصل مصدر حيي ثم أُطلق على الجنس بخلاف صَميان لانك تقول رجلٌ

صَميان ولا تقول جسمٌ حيوان وحينئذٍ فهو يصغرُ على حُيَيوِين كما يصغر كَرَوان على كُرَيوين . واما انهُ لا يجمع على حياوين فانما وضعوا هذا الشرط لتمييز الصفة من الاسم لان الصفة لا تُجمَع على فعالين فاذا تعينت الاسمية لم يُلتفَت الى هذا الشرط

القاهرة ـ قد اطلعتم ولا شك على كلام الجرائد عن العيد الذي يراد الاحتفال بهِ لمرور مئة سنة على ولاية محمد علي لكن رأينا بعضها تسميهِ العيد المئَوي و بعضها تسميهِ المئيني فما هذه النسبة الثانية　　مستفيد

الجواب ـ هي نسبة الي مئين جمع مئة وهو عجيب لان العيد انما هو لمرور مئة واحدة من السنين فما ندري من اين جآء هذا الجمع . على انهُ لو فرضنا ان هناك مئين لا مئة لم تكن النسبة الا بلفظ مئويّ لان قياس الجمع ان يُرَدّ عند النسبة الى المفرد

آثار ادبيّة

مجلة سركيس ـ صدر الجزء الاول من مجلة بهذا العنوان لحضرة الكاتب الاريب سليم افندي سركيس وهي مجلة لطيفة تنطوي على كل ما رقّ وطاب من النوادر الادبية والنكات المستملحة على اسلوبٍ جديد من الفكاهة مما يدل على لطف ذوق منشئها وسعة تفننهِ في هذه الصناعة . وهي تصدر مرتين في الشهر في ٣٢ صفحة وقيمة اشتراكها السنوي ٦٠ غرشاً في مصر و ٢٠ فرنكاً في الخارج فنتمنى لها الرواج والانتشار

فكاهات

شرلوك هولمز(١)

—٧—

الشرف الرفيع

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

ان ما اكتبهُ الآن هو تدوين وقائع حقيقية حدثت من وقت غير بعيد بين اشخاص مشهورة اسمآؤهم. غير اني ارى نفسي مضطرًّا ان اغفل ذكر المكان والزمان واستبدل الاسمآء خشية ان اسوء عن غير تعمد من قد يكون لهُ اتصال بهذه الرواية

خرجت يوماً مع صديقي ورفيقي شرلوك في حاجةٍ ثم عنَّ لنا ان نتنزه في بعض الحدائق غير ان المطر المنهمل بغزارة والبرد القارص اجبرانا على الرجوع الى منزلنا فعدنا اليهِ في الساعة السادسة مسآء وكان قد خيم الظلام . فلما دخلنا الغرفة واطلقنا مجرى النور الكهربآئي وقعت عين شرلوك على بطاقة زيارة موضوعة على المائدة فتناولها وما كاد يقرأ الاسم المطبوع عليها حتى رمى بها الى الارض واظهر علامة الضجر والتكرُّه . فالتقطتها وقرأتها فاذا عليها هذه الكلمات « شارلس اوغسطس ملفرتن » ولم اكن اعرف هذا الاسم من قبل فسألت شرلوك عن صاحبهِ فقال لي اجارك الله منهُ ايها العزيز وطسن فانهُ افظع انسان تظللهُ سمآء لندن . ثم جلس على كرسيهِ قرب الموقد وقال هل كتب شيئاً على البطاقة. فادرتها بيدي فوجدتهُ قد كتب على جانبها الآخر سأعود في منتصف الساعة السابعة. فقال شرلوك قد قرب الموعد اذاً ثم نظر اليَّ وقال اذا ذهبت يا وطسن الى حديقة الحيوانات ووقفت امام قفص

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الافاعي ألا تشعر بانقباض غريب وتململ في جسمك كلما رأيت تلك الخلائق السامة التي تنساب بونآء وخبث وهي ترمي اليك نظراً بارداً ثابتاً من عيونٍ قبيحة بارزة في وجوهها المسطحة فان نفس الشعور ينتابني عند مشاهدتي هذا الرجل . ولقد رأيت عدداً عظيماً من الاشرار والقتلة ولكن اشدهم جرماً لم يؤثر عليَّ بمثل الوجدان الذي اشعر بهِ عند مقابلتي لهذا الوحش الناطق ومع كل ذلك فاني ارى نفسي مدفوعاً الى مقابلتهِ لانني استدعيتهُ . فقلت وما غرضك منهُ اذاً . قال انهُ سلطان الائمة وملك الاشرار فالويل للرجل و بالحري للمرأة التي يسوقها سوء الطالع الى ان يطلع ملفر ين على شيءٍ من اسرارها فانهُ يمتصّ دمها شيئاً فشيئاً الى ان ينضب وهو يتبسم بوجههِ الكالح و يطرب بقلبهِ الحجري . ولست انكر ان الرجل شعلة ذكآء وانهُ كان يمكنهُ بلوغ اسمى مقام لو صرف همهُ عن الدنايا الى الاعمال الشريفة ولكنهُ اتبع مهنـة دنيئة فهو يرشو الخدم والخادمات و بعض الاحيان السادات والسيدات الذين باعوا الذمة ونبذوا الضمير فيدفع اليهم المبالغ الطائلة على ان يبيعوهُ رسائل او اوراق ساداتهم او اصحابهم اذا كان فيها ما يوقعهم في شبهةٍ . وقد علمت انهُ دفع يوماً سبع مئة ليرة الى حوذيٍّ ثمن رسالة موءلفة من سطر ين كانت نتيجتها خراب اسرةٍ شريفة بتمامها . ولقد طارت شهرتهُ بذلك حتى لا يذكر اسمهُ امام كبار القوم الاَّ تظهر عليهم علائم الكراهة والانقباض فانهم يخافونهُ ولا يعلمون كيف ومتى يسقطون في يدهِ . والغريب انهُ اذا امتلك رسالةً يخفيها سنوات الى حين الاحتياج اليها فيتقاضى اصحابها المبالغ الطائلة او يتهددهم باذاعتها فيجعلهم اسرى ارادتهِ جبراً

وكنت اعجب من كلام صديقي لانني لم اسمعهُ قط يتكلم بمثل هذا الوصف والحدَّة فقلت لهُ ولماذا لا يشكونهُ الى الحكومة . قال واية فائدة تجنيهـا احدى السيدات اذا سُجن اشهراً ثم خرج لينتهك عرضها و ينزل اسمها الى اسفل دركات العار والهوان . ثم لو فعل ذلك مع اناس ابريآء لامكن القبض عليه ومجازاتهُ غير انهُ خبير بالشر كرئيس الجحيم نفسهِ فهو يعلم من اين توءكل الكتف ولا يصادر الا الذين زلوا و يعلم انهم يخافونهُ . فقلت وهل لك ان تخبرني عن سبب مجيئهِ الآن .

قال ان سيدة شريفة وهي اللادي ايڤا براكول اجمل والطف فتاة في يومنا هـذا قد خُطبت للارل دوڤركورت وسيُعقد لهُ بعد اسبوعين . وقد اتفق انها في اوائل جهلها كتبت بعض رسائل حبية الى شخص آخر وليس في رسائلها تاريخ فتمكن هذ اللعين ملڤرتن من الحصول على تلك الرسائل فهو الآن يتهدد اللادي بان تشتريها منهُ بمبالغ جسيمة او يبلّغها الى الارل ويظهر لهُ انها وان كانت قبلتهُ بعلاً لها فهي تراسل عشيقاً سواهُ فتكون النتيجة ابطال العقد وهدم شرف الفتاة . وقد شكت لي اللادي امرها وكلفتني ان اتوسط لها مع هذا الخبيث واسترجع الرسائل باحسن طريقة اتمكن منها . ولم يكد شرلوك يتم كلامهُ حتى سمعنا صوت عربة وقفت امام باب البيت وخرج منها رجل رقي السلم حتى بلغ الغرفة التي نحن فيها . ولما دخل تأملتهُ فاذا هو في نحو الخمسين من العمر قصير القامة ضخم الجسم ولهُ رأسٌ كبير وجبهةٌ عالية تدل على الذكآء والمهارة وهو ذو وجهٍ حليق سمين يلوح عليهِ تبسم مريب دائم ولهُ عينان صغيرتان ولكنهما حادتان يندفع منهما نورٌ شديد تحت حواجبهِ الكثيفة السودآء . وكان صوتهُ كصوت المرأة فالقى التحية باسطاً يدهُ الى شرلوك وقال اتأسف انني لم اجدك في زيارتي الاولى . فتغافل شرلوك عن اليد الممدودة للسلام عليـهِ ورأى ذلك ملڤرتن فهز منكبيهِ ثم القى ردآءهُ على كرسيٍ وجلس . ثم نظر اليَّ وقال مخاطباً شرلوك الا يوجد مانع من التكلم بحضرة هذا السيد . فقال شرلوك انهُ صديقي وشريكي الدكتور وطسن ولهُ المام بالامر فارجو منك الاختصار ما امكن لان اللادي ايڤا قد فوضت اليَّ انهآء الامر فما هي شروطك الاخيرة . فقال ملڤرتن ببرود ان شروطي الاخيرة هي ان تنقدني سبعة آلاف ليرة وتتسلم الرسائل وانهُ اذا لم اتسلم المبلغ في الرابع عشر من هذا الشهر تعذَّر عقد الزواج في الثامن عشر منهُ . فقال شرلوك انك تطلب ثمناً فاحشاً يا هذا مع انهُ يمكن اللادي ايڤا ان تعترف لخطيبها ولا شك ان حبهُ الشديد لها يصفح عن هفوتها الصبيانية فلا تهمهُ الرسائل وتخسر انت كل شيء . فقهقه ملڤرتن ساخراً وقال يظهر انكم تجهلون طباع الارل ولكن ذلك لا يهمني فافعلوا ما تشآءون . ولما قال ذلك

نهض يريد الانصراف فاستوقفهُ شرلوك وقال مهلاً يا هذا فاننا نفضل ان لايكون في الامر ما يشين اسم اللادي وانت تعلم انها ليست ذات ثروة وان غاية ما تملكهُ هو الفا ليرة فهل تقبل بهذا الثمن . قال انا اعلم انها لا تملك المبلغ الذي اطلبهُ ولكن اعلم ايضاً ان مثل اللادي ايفا متى تزوجت لا بد ان تأتيها هدايا كثيرة ثمينة جدًّا من اصحابها ومعارفها . ثم اخذ محفظةً من جيبهِ وقال ان هذه الاوراق اذا وصلت الى يد الارل ابطلت الزواج حتماً وتركت اللادي ايفا تعسة شقية طول حياتها وكل ذلك لامساكها عليَّ المبلغ الزهيد الذي اطلبهُ . فقال شرلوك ولكن يا هذا ان اللادي ايفا لا يمكنها جمع هذه القيمة وفضلاً عن ذلك فاية فائدة لك من ابطال زواجها . قال ان ذلك يفيدني جدًّا لانهُ يوجد لديَّ خمس او ست قضايا مثل هذه فمتى اشتهر امر هذه سهل عليَّ اقناع الباقين

ولم يستطع شرلوك ان يضبط نفسهُ فوقف بغضبٍ وقال دونكهُ يا وطسن فلا بدّ لنا من الاطلاع على ما في هذه المحفظة . ورأى ملفرتن ذلك منا فوثب بسرعة البرق الى الحائط ثم اخرج مسدساً وقال قفا عندكما فهل تحسبانني جاهلاً حتى اسلم نفسي كولدٍ صغير . فانا اولاً مدجج بالسلاح وثانياً لم افقد عقلي حتى احضر الرسائل معي فلا فائدة لكما مني . ورأينا صدق كلامهِ فاحجمنا عنهُ فتقدم الى ردائهِ والتف بهِ ثم انحنى مسلماً وخرج و بعد دقيقتين ركب عربتهُ فسارت بهِ الجياد تنهب الارض

و بقي شرلوك نحو نصف ساعة يدخن بلفافة بعد الاخرى وهو صامت ثم دخل غرفتهُ الخصوصية وعاد منها متنكراً بهيئة واحد من الفعلة فقال انا ذاهب يا وطسن وساعود سريعاً . فعلمت انهُ قد شهر حرباً عواناً على ملفرتن وايقنت انهُ فائزٌ ولا بدّ وان لم اعلم الخطة التي رسمها لنفسهِ في الهجوم والدفاع

و بقي شرلوك بضعة ايام يخرج و يدخل وهو مشرد الفكر الى ان عاد يوماً ولما جلس على مائدة الطعام ضحك ضحكاً عالياً ثم قال ان الانسان يا وطسن يضطرّ ان يفعل بعض الاحيان ما يهزأ بهِ من نفسهِ متى افتكر فيهِ فانني قد فزت باغواء

خادمة ملفرتن فاحببتها واحبتني وخطبتها وهي تعتقد انني سأتزوجها قريباً متى استوفيت مدة خدمتي في المنجم وأخذت المكافأة . وانا في كل يوم اخرج بها للنزهة والمحادثة وقد علمت منها داخل بيت ملفرتن حتى صرت اعرفهُ كما اعرف اصابعي وسأزور ذلك البيت الليلة لانني عزمت على سرقة الاوراق من ملفرتن اذ لم اجد طريقة اخرى

ولما سمعت ذلك رأيت للحال جسامة العمل وما يترتب عليهِ من الخطر اذا وقع شرلوك في قبضة ذلك الاثيم فحاولت صرفهُ عن عزمهِ فقال قد افتكرت كثيراً يا عزيزي وطسن وعلمت انني ساكون مذنباً في دخولي البيت خفية ولكن لما كنت لا اقصد السرقة ولا القتل بل تخليص شرف فتاةٍ من يدي وحش يسعى في تمزيقهِ رايت ان سمة اللصوصية اذا وُسمت بها اسهل عليَّ من ان يقال ان فتاةً القت اتكالها عليَّ لانقاذ شرفها وسعادتها ولم افعل . فالغد آخر الايام التي سمح بها ذلك اللعين واللادي ايفا لا تملك المبلغ الذي يطلبهُ ولا تستطيع الحصول عليهِ من أحد وقد وعدتها أن لا ادع الاوراق تصل الى الارل ورهنت كلامي فلن ارجع فيهِ

ولما تحققت عزم شرلوك وكنت اعلم طبعهُ اذعنت وقلت لهُ حسنٌ ففي اي وقت نذهب . فقال لا تقل نذهب لانني لا احب ان تشاركني في هذه المخاطرة. فقلت اقسم بشرفي يا شرلوك انني ان لم اصحبك الليلة فسأذهب توًّا الى دار الشحنة واشكوك فافسد عليك تدبيرك . ولما رأى اصراري قال لا بأس فاذهب معي وقد عشنا الى الآن معاً فسنكون كذلك في حجرة السجن معاً . ثم اخرج من جيبهِ محفظة فتحها فوجدت فيها ادوات عديدة ومفاتيح مختلفة لكسر الاقفال والزجاج وفتح الخزائن ومصباحاً خصوصياً ثم قال لي هذه عدتي كاملة ولكن هل عندك حذاء من المطاط . قلت عندي . قال ولثام . قلت يسهل عملهُ من نسيج اسود . قال اذاً استعدَّ لتناول العشاء فسنخرج من هنا في الساعة الحادية عشرة ونبدأ عملنا عند منتصف الليل حين يكون ملفرتن مستغرقاً في النوم لانهُ ينام كل ليلة في منتصف الساعة الحادية عشرة فاذا ساعدنا التوفيق نرجع في الساعة الثانية ومعنا رسائل اللادي ايفا

وفي الوقت المعين ارتدينا ثياباً سوداء كاننا ذاهبان الى مرقص وركبنا عربة

فاقلَّتنا الى مسافة ثم تركناها وسرنا راجلين . فقال شرلوك يجب الانتباه التام فيما سنفعلهُ لان ملڤرتن يحفظ الاوراق في صندوق حديدي في غرفة متصلة بغرفة نومهِ وقد علمت من خطيبتي خادمتهِ انهُ اذا نام فلا يستيقظ مهما حصل . ولهُ وكيل لا يفارق الغرفة في النهار اصلاً فلذلك آثرت المجيء ليلاً . وفي حديقتهِ كلبٌ شرس وعدتني خطيبتي ان تربطهُ الليلة وها هو البيت امامنا فهيَّا بنا . وللحال تلثمنا فصرنا كلصوص لندن واقترب شرلوك من الحديقة فوثب الى داخلها وتبعتهُ فبلغنا باباً على جانب البيت وكان مقفلاً فاخذ شرلوك من محفظتهِ اداة كسر بها الزجاج ثم ادخل يدهُ ففتح الباب وصرنا داخل البيت فاقفل الباب علينا واصبحنا في نظر العدالة مجرمين . وكانت الظلمة شديدة جدًّا فقادني شرلوك بيدي واجتزنا الغرفة الاولى والثانية ثم ممرًّا ضيقاً ثم انتهينا الى غرفة رأينا فيها ناراً موقدة يندفع نورها فاقفلنا بابها وكانت هي الغرفة المقصودة تتصل بغرفة النوم بباب عليهِ ستائر كثيفة ولها نافذتان مجللتان بالستائر الكثيفة ايضاً وفي وسط الغرفة مائدة امامها صندوق حديدي كبير فحصهُ شرلوك قليلاً . اما انا فخطر لي ان نضمن خط الرجوع لو طرأ علينا طارئ ففحصت باباً يتصل بالدار الخارجية فوجدتهُ مفتوحاً واخبرت شرلوك بذلك فاظهر الانقباض وقال لا بد من سبب لبقائهِ مفتوحاً ولكن وقتنا محدود فقف ياوطسن بقرب الباب واذا سمعت اقل حركة فنبهني واقفل المدخل و قبل ان يتمكن القادم من فتحهِ نكون خرجنا من هنا . ثم اخذ شرلوك محفظتهُ واستخرج منها اداة اخرى ومفتاحاً واقترب من الصندوق المذكور فاخذ يعالجهُ وهو يجرب المفاتيح والادوات مدة نصف ساعة وكنت على احرّ من الجمر فسمعت صوتاً خفيفاً ورأيت باب الصندوق قد فتح و بانت ضمنهُ كمية من الاوراق مرزومة ومختومة كل رزمة على حدة وعليها كتابة. فاخذ شرلوك رزمة منها ولكنهُ لم يستطع قرآءتها على نور النار الضعيف فاخذ مصباحهُ السري من جيبهِ ولكنهُ توقف فجأةً فردّ الاوراق وأقفل الصندوق ووثب الى ما ورآء الستار الذي يغطي النافذة واشار اليَّ ان افعل نظيرهُ ففعلت . واذ ذاك سمعت صوت خطوات تقترب من الغرفة كان قد سمعها

شرلوك قبلي لشدة تلك الحاسة فيهِ • وكانت الخطوات تقترب حتى بلغت باب الغرفه ففُتح وشممنا رائحة السيجار الافرنجي فعلمنا ان الداخل رجل ففتح مجرى النور الكهربآئي ثم جعل يسير في الغرفة ذهاباً واياباً على بعد نحو متر من مخبأنا • وبعد بضع دقائق شعرنا انهُ جلس على الكرسي وفتح الصندوق فاخرج منهُ اوراقاً وجعل يقلبها في يديهِ • فتجرأنا اذ ذاك وجافينا الستارة قليلاً فرأينا امامنا ملفرتن نفسهُ وقد ادار لناظهرهُ فتعجبنا من بقآئهِ مستيقظاً الى ذلك الحين على غير عادتهِ ورأينا من تدخينهِ وهيئة جلوسهِ انهُ لا ينوي الانتقال سريعاً فانهُ كان من حين الى آخر ينظر الى ساعتهِ ويعود الى القرآءة . وكنت انا وشرلوك نتبادل غمز الايدي والعيون فنخاطب بعضنا بعضاً في الانقضاض على ذلك اللعين وخطر لي ان اثب عليهِ وثبةً واحدة فاغطي رأسهُ بردآئي واسدّ فمهُ الى ان يتمكن شرلوك من البحث عن مطلوبهِ واخذ الاوراق التي يود اخذها • ولكن خطر لنا انهُ متى فرغ من شرب لفافتهِ واكمل تلاوة الاوراق التي بيدهِ يقوم الي سريرهِ وينامُ فنتمّ عملنا على وجهٍ اسهل وبدون ان يعلم . وعلى ذلك لبثنا ننتظر ولكن كانت حالة ملفرتن تدل على القلق والانتظار ولم يخطر لنا قط انهُ يتوقع قدوم زائر في مثل تلك الساعة حتى طرق اذنيَّ صوت وقع اقدام تقترب ثم عقبها قرع على باب الغرفة فنهض ملفرتن وفتح الباب قائلاً قد تأخرتِ عن الموعد نصف ساعة فاقلقني الانتظار وسلبتِني راحة النوم فعسى ان يكون في قدومكِ ما يعوّض عليَّ ذلك• ثم عاد الى كرسيهِ فجلس ووضع اللفافة في فيهِ وهو غير مكترث • ونظرنا الى القادم فوجدناهُ امرأة قد سترت رأسها الى عنقها ببرقعٍ اسود ولفت حول جسمها ردآءً طويلاً اشبه بالعبآءة بحيث لم يبن منها شيء • فتقدمت حتى وقفت امام ملفرتن فقال لها لماذا لم تأتي في غيرهذا الوقت هل منعتكِ الكنتة من الحضور اذاً لا شك انك تتمكنين الآن من الانتقام منها • ولكن مالي اراكِ ترتعدين سكّني روعكِ وتعالي نتمم عملنا فقد قلتِ ان لديكِ خمس رسائل تلقي الشبهة على الكنتة دالبرت وانك تحبين بيعها فانا اشتريها منكِ فعيني الثمن ولكن لا بد من الاطلاع على الرسائل لا تحقق

انها اصلية وانها تحتوي ما ذكرته لي . ولكن ...... ولم يتمكن من اتمام حديثه حتى شهق وقال يا رباه اهذه انت

وكانت السيدة قد نزعت البرقع عن وجهها وكشفت لفاعها فبانت لنا بوجه حنطي اللون جميل الملامح وهي سوداء العينين طويلة الاهداب ولهاشفتان حمراوان قد فتحتهما بتبسم منكر فقالت بصوت اجش نعم انا هي المرأة التي نغصت عيشها وقوضت سعادتها . فقهقه ملفرتن ضاحكاً وقد اجتهد في اخفاء خوفه ثم قال ليس الذنب ذنبي فان عنادك هو الذي دفعني الى ما فعلته واني اؤكد لك انني لا ارغب البتة في اذية احد من تلقاء نفسي غير انهُ على كل انسان ان يسعى في مصلحة نفسه فقد طلبت منك ثمناً زهيداً وكان في امكانك دفعهُ واجتناب ما حصل . فقالت والغيظ يكاد يخنقها نعم اما انت فبعثت بالرسائل الى زوجي وهو اشرف الناس خلقاً واطيبهم قلباً فشق ذلك عليه جدًّا و بلغ منهُ حتى مات . وانك تتذكر ولا بد تلك الليلة التي جئت فيها اليك من هذا الباب فتوسلت وتضرعت اليك طالبة الرحمة فقابلتني بالتهكم والسخرية كما تود ان تفعل الآن ولم يخطر لك قط انني ساعود الى مقابلتك وارى هذا الوجه الكالح مرةً ثانية على انفراد . فانتصب ملفرتن امامها وقال كفى يا هذه والا ناديت الخدم ليقبضوا عليك و يوثقوك كجانية تدخلين البيوت سرًّا غير اني اشفق على فؤادك الكسير الذي دفعك الى مافعلت وانصح لك ان تعودي من حيث اتيت وتكفي نفسك الوقوع في شرّ اعظم

وكانت السيدة واقفة امامهُ كمثال الانتقام وقد وضعت يدها في صدرها ولم يتحرك من اعضائها سوى شفاه ترتجف بتبسم مخيف . فلما سمعت ذلك من ملفرتن قالت لهُ بل سوف يُكفَى الناس شرّك فلا تسيء الى احدٍ كما اسأت اليّ ولا تمزق قلب احدٍ من بعد كما مزقت قلبي وقد آليت على نفسي ان اطهر العالم من نفثات سمك القتال فخذ هذه ايها الكلب النجس. وهذه . وهذه . وهذه . وهذه . وهذه . وكانت قد اخرجت يدها من صدرها وفيها مسدس صغير افرغت رصاصاته جميعها الواحدة بعد الاخرى في صدره . فارتعش جسمهُ وسقط على المائدة يتدفق

الدم من فيهِ وجراحهِ وقد حاول ان يلتقط الاوراق التي وقع بينها فلفظ روحهُ وهوى عن المائدة الى الارض. ولما رأتهُ السيدة تحت اقدامها رفست وجههُ بنعلها ثم اصغت قليلاً فلما لم تسمع حركةً خرجت من حيث اتت . ولم يكن في وسعنا انقاذ الرجل لانها لم تمهلنا لذلك على اني وددت ان اتقدم بعد اول طلق غير ان شرلوك منعني قائلاً قد لقي الغادر جزآءهُ فلا يهمنا نحن الا الحصول على الاوراق التي اتينا لاجلها . ولما ذهبت السيدة اسرع شرلوك بخفة غريبة فاقفل الباب من الداخل ثم عاد الى الصندوق الحديدي فجعل يأخذ الاوراق التي فيهِ ويلقيها الى موقد النار حتى اتى على جميعها. وكان صوت الرصاص قد ايقظ اهل البيت فتراكض الخدم واصبح البيت شعلة نور وهجموا على الباب يحاولون فتحهُ فاخذ شرلوك بيدي الى النافذة فوثب وتبعتهُ في الحديقة فجعلنا نعدو الى الجدار ٠ ورآنا احد الخدم فتأثرنا وهو يصيح ويستغيث وكان شرلوك قد بلغ الجدار فتسلقهُ بخفة وفعلت مثلهُ غير انني شعرت بيد الخادم قد امسكت بعقبي فرفستهُ في وجههِ وتخلصت منهُ ٠ ولما بلغنا الطريق جعلنا نعدو بمنتهى القوة والسرعة حتى قطعنا مسافة ميلين على الاقل واذ ذاك وقف شرلوك واصغى ثم قال قد نجونا يا وطسن

وفي الصباح التالي بينما كنا نتناول طعام الغداة وفد علينا لستريد احد مفتشي رجال الشحنة وبعد التحية قال مخاطباً شرلوك انني اتيت ايها الصديق اطلب مساعدتك في امر اعلم انهُ يسرّك السعي فيهِ فهل علمت ما حصل ليل امس في بيت المستر ملفرتن . فقال شرلوك كلا فماذا حصل . قال قد قتل ملفرتن قتلةً فظيعة ولم يعلم قاتلهُ بل لم اتمكن من وجود اقل دليل ابني عليهِ خطة البحث . ولما كنت اعلم قوة ملاحظتك ومقدرتك في مثل هذه الوقائع جئت اسألك ان تصحبني الى محل الحادثة لعلك تتمكن من الاستدلال على شيء لم ارهُ انا فنسعى معاً لمعرفة القاتل . وانا اعلم ان ملفرتن يتاجر بأوراق واعراض الناس فقد وجدنا كل تلك الاوراق طعمة للنار ولم يفقد شيء ذو قيمة قط مما يدل على ان الفاعلين ليسوا من القتلة الادنيآء وان غرضهم ستر الاعراض وانقاذ الشرف . فقال شرلوك اراك

اقول الفاعلين بصيغة الجمع فما ادراك ان القاتل لم يكن واحداً . فقال لستريد هما اثنان وقد اوشك الخدم ان يقبضوا عليهما غير اننا وجدنا آثار اقدامهما وليس ببعيد ان نتوصل اليهما قريباً واحدهما طويل القامة رشيق الحركة ضعيف الجسم اما الثاني فمتوسط القامة شديد العضل ممتلئ الجسم وقد تستر الاثنان بلثام اسود. فضحك شرلوك وقال ان هذا الوصف ينطبق على وطسن وعليَّ • فقال لستريد نعم انهُ ينطبق عليكما ولكن ما لنا ولهذا فهل تحبّ ان تساعدني في البحث عنهما . فقال شرلوك يسوءني ايها العزيز اني لا اتمكن من مساعدتك هذه المرة لانك تعلم انني لا اتداخل الا في ما اشعر بميل اليهِ من نفسي وانا اعرف ملفرتن وصفاتهِ الدنيئة وقد كنت اود لهُ مثل هذه النهاية من زمن طويل فقد صادف ما يستحقهُ ولست بمتداخل في امرهِ لانني لا اكتمك ايها العزيز انني أميَل الى مساعدة القتلة من الانتقام للقتيل • فخرج لستريد يائساً من مساعدة شرلوك وقد صمم على البحث وحده ••

وبقي شرلوك مفكرًا كانهُ يهتم بحل معمًّى الى ما بعد الظهر ثم صاح فجأةً قائلاً قد عرفتها فتعال معي يا وطسن. وللحال تناول قبعتهُ وخرج فتبعتهُ وما زلنا سائرين حتى بلغنا شارع ريجنت واقتربنا من نافذة زجاجية لاحد المخازن داخلها عدد من الصور الشمسية تمثل اجمل سيدات العصر. فاخذ شرلوك ينقّل نظرهُ فيها الى ان ثبّتهُ على واحدةٍ منها فاذا هي نفس صورة تلك السيدة التي افرغت رصاصات مسدسها في صدر ملفرتن ثم قرأت اسمها في اسفل الصورة فلم اتمالك ان شهقت مستغرباً لاني قرأت اسم رجلٍ من اكابر ساسة البلاد واعظمهم شرفاً كانت زوجتهُ . فغمز شرلوك يدي ووضع سبابتهُ على شفتيهِ علامة الصمت والكتمان وابتعدنا متعجبين من غرائب الاسرار

اما اللادي ايفا فاقترنت بالارل في اليوم المعين وقد اطمأنت ان الرسائل المذكورة لن تظهر مع انها لم تعلم كيف وبأية واسطة تداخلت التقادير في مساعدتها على الخلاص منها